الباب الثاني

صور من وصايا ممن كان قبلنا

وصية رجل ممن كان قبلنا ـ رحمه الله ـ :

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أنه ذكر رجلاً فيمن سلف ـ أو فيمن كان قبلكم ـ قال كلمة ـ يعني أعطاه الله مالاً وولداً فلما حضرته الوفاة قال لبنية : أي أب كنت لكم ؟ ! ، قالوا : خير أب ، قال : فإنه لم يَبْتَئر ـ أو لم يَبْتَئز ـ عند الله خيراً وإن يقدر الله عليه يُعذبه ، فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني ـ أو قال : فاسحكوني ـ فإذا كان يوم ريح عاصف فآذروني فيها ، فقال ﷺ : «فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى ففعلوا ثم ذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل « كن » فإذا هو رجل قائم ، قال الله : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ ، قال : مخافتك ـ أو فرق منك ـ قال : فما تلا فاه أن رحمه عندها » .

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن رسول الله ﷺ قال :

« أسرف رجلٌ على نفسه فلما حضَرَه الموت أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم زروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحد » ، قال : ففعلوا به ذلك ، فقال للأرض أدي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ ! ، قال : خشيتك ، أو مخافتك يارب ، فغفر له ذلك » .

وصية رجل آخر ممن كان قبلنا :

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : وروينا أن داود عليه السلام رأى راهبًا في قُلة جبل فصاح به : يا راهب من أنيسُك ؟! ، فقال : اصعد تراه فصعد داود فإذا ميت مسجى قال من هذا ؟ ، قال قصته مكتوبه عند رأسه ، فدنا داود عليه السلام فإذا عند رأسه لوحٌ مكتوبٌ عليه فقرأه فإذا فيه « أنا فلان بن فلان ، ملك الأملاك ، عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة ، وهزمت ألف عسكر ، وأحصنت ألف امرأة وافتضضت ألف عذراء ، فبينما أنا في ملكي أتاني ملك الموت فأخرجني مما أنا فيه فها أنا ذا التراب فراشي ، والدود جيراني ، قال : فخر داود عليه السلام مغشيًا عليه »(١) .

وصية ذي القرنين عليه السلام :

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : ثم إن ذا القرنين لما عاد بلغ بابل فنزل به الموت فكتب إلى أُمه يعزيها عن نفسه وكان في كتابه « اصنعي طعامًا واجمعي من قدرت عليه من أبناء المملكة ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة ففعلت ، فلم يأكل أحد فعلمت ما أراده فلما وصل تابوته إليها قالت : يا ذا الذي بلغت حكمتُه السماء وجاز أقطار الأرض مُلكه ما لك اليوم نائم لا تستيقظ وساكت لا تتكلم من يبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت وعزيتني فتعزيت فعليك السلام حيًّا وميتًا »(٢) .

وصية بهرام بن بهرام ملك فارس :

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قلل : افتتحنا

---

(١) التبصرة ، (ص ٢٧٧) .

(٢) التبصرة ، (ص ١٤٣) .

OBEIKAN.COM

مدينة فدللنا على مغارة ذكر لنا أن فيها أموالاً فدخلناها ومعنا من يقرأ بالفارسية فأصبنا في تلك المغارة من السلاح والأموال شيئًا كثيرًا ، ثم صرنا إلى بيت يشبه الأزج عليه صخرة عظيمة فقلباها وإذا في الأزج سرير من ذهب عليه رجل وعليه حُلل قد تمزقت ، **وعند رأسه لوح فيه مكتوب فقريء لنا ، فإذا فيه :**

« أيها العبد المملوك لا تتجبر على خالقك ولا تعد قدرك التي جعل الله لك، واعلم أن الموت غايتك وإن طال عمرك ، وأن الحساب أمامك وأنك إلى مدة معلومة تترك ثم تُؤخذ بغتة أحب ما كانت الدنيا إليك ، فقدِّم لنفسك خيراً تجده مُحضراً وتزود لنفسك من متاع الغرور ليوم فاقتك أيها العبد الضعيف اعتبر بي فإن فيَّ مُعتبراً ، أنا بهرام بن بهرام ملك فارس، كنت من أعلاهم بطشًا ، وأقساهم قلبًا، وأطولهم أملاً ، وأرغبهم في اللذة ، وأحصرهم على جمع الدنيا قد جبيت البلاد النائية ، وما قتلت الملوك الساطية ، وهزمت الجيوش العظام وعشت خمسمائة عام وجمعت من الدنيا ما لم يجمعه أحد قبلي فلم أستطيع أن أفتدي نفسي من الموت إذا نزل بي »[١] .

(١) التبصرة ، (ص ٢٧٧) .

OBEIKAN.COM